# الفصل الثالث

## الثورة العراقية

١ – ممهدات الثورة
٢ – التحريض على الثورة
٣ – المقاومة العلنية
٤ – أثر الثورة
٥ – عرش العراق

# ١

# ممهدات الثورة

الثورة السياسية تأتى نتيجة أى ضغط على حريات الشعب فتهدد كيانه وشخصيته ومقوماته فيفقد جزءاً مهماً من حياته فيثور ليتخلص من هذا الكابوس الذى حال دون حريته . . ولينطلق إلى عالم رحب من السيادة والاستقلال . . ومتى ما أحكمت الثورات ووضعت المخططات الدقيقة للاحتمالات التى قد تصادفها فإنها تؤدى إلى ما أراده الثائرون . . وقد لا تنجح هذه الثورات لأسباب كثيرة .

ولا تكون الثورات فى بلد ، وليدة ساعة أو يوم يحدد ، وإنما تحدث نتيجة لعوامل متعددة توصلها إلى ساعة الانفجار . ولعل أهم عامل فى إنجاح الثورة هو تكوين الرأى العام الموحد الذى يتجه إلى الثورة والاستعداد لها .

ولا تختلف الثورة العراقية عن غيرها من الثورات ، فقد سبقتها عوامل كثيرة متنوعة يرجع بعضها إلى العهد العثمانى وبعضها جاء نتيجة للحرب العالمية الأولى .

فقد بدأت بوادر الشعور القومى فى أوربا وأخذت تتسرب إلى جميع الشرق فتأثر بها المثقفون العرب [١] بطبيعتهم الثقافية وظهرت هذه اليقظة بالحملات التى راح يشنها الأحرار العرب الذين رأوا الفساد وقد استشرى فى البلاد العربية فأخذوا يطالبون بالإصلاح وقد كان منهم الجرىء المغامر الذى لم يخش صولة الدولة العثمانية حتى ليخيل لجرأته أنه غير موجود وأن اسمه مجرد توقيع مستعار لما امتازت به قصائده من جرأة غريبة وتحد سافر للدولة العثمانية [٢] ومن مطالبة عنيفة صريحة فى الإصلاح ، فقد قال الرصافى :

كيف القرار على أمـــور حكومة ... حادت بهن عن الطريق الأمثـــل
فى الملك تفعل من فظائع جورهـــا ... ما لم تقل ، وتقول مالم تفعـــــل

---

(١) النتائج السياسية للحرب العظمى . Ramsy Muir P. 140-151.

(٢) حدثنى الأستاذ الشاعر الكبير بشارة الخورى أنه لم يكن يصدق بأن معروف الرصافى إنسان يعيش وإنما هو توقيع مستعار يتخذه أحد الأحرار ليهاجم الظلم والجور .

ملأت قراطيس الزمـــان كتابة  للعدل وهى بحكمها لم تعـــدل

وتبلغ به الجرأة النادرة أن يدعو إلى حكم جمهورى لإصلاح الأحوال المتردية فى البلاد كى يرتفع الشعب من حضيض التأخر إلى أوج الرقى فقال :

إن الحكومة وهى جمهـــورية  كشفت عماية قلب كل مضلل
سارت إلى نجح العبـــاد بسيرة  أبدت لهم حمق الزمـــان الأول
فسموا إلى أوج العلاء ونحن لم  نبرح نسوج إلى الحضيض الأسفل (٣)

وقد كانت الجرائد العربية فى مصر هى الميدان الذى ينشر فيه الشعراء شعرهم كالمؤيد والمقطم والمقتبس (٤) وقد نشر جميل صدقى الزهاوى فى المقتطف قصيدة منها :

ألا رعى الله أوطاناً لنـــا انتهكت  محبـــوبة السهل والـــوديان والكثب
قد أضرم الجـــور ناراً فى جوانبهـــا  وأهلهـــا بين نفـــاخ ومحتطب (٥)

ويصرخ الزهاوى يحذر القوم مما يحيق بهم وما سيصل إليه مستقبلهم قائلا :

أيهـــا القوم أيهـــا القوم أنتم  أمـــة ساقطـــون فى مهـــواة
أيهـــا الظلم هل زمانك مـــاض  أيهـــا العدل هل زمانك آت
وسأبكى قومى وأبكى بلادى  وقبـــور الآبـــاء والأمهـــات (٦)

وعندما بدأ الوعى القومى يتسرب بين طبقات الشعب المثقفين فى الآستانة وغيرها من البلاد العربية ، بدءوا بعقد المؤتمرات السياسية لمعالجة حالة العرب والمطالبة بمساواتهم مع الأتراك ، وجعل اللغة العربية لغة المدارس ، وأن يخدم الجنود العرب فى البلاد القريبة ، وأن يكون بعض العرب فى الوزارة وفى مجلس شورى الدولة ، ومحكمة التمييز ، وأن تكون نسبة الأعيان من العرب اثنين لكل ولاية ، وتجرى المعاملات الرسمية فى البلاد العربية باللغة العربية (٧) .

---

( ٣ ) ديوان الرصافى ص١٦٢ وص ١٦٣ ويراجع ( إيقاظ الرقود ) ص ١١٦ و( تنبيه النيام ) ص ١٠٣ .

( ٤ ) الأدب العصرى ج١ ص ٩ وص ٧٠ ويلاحظ مذكرات معروف الرصافى التى أملاها على الأستاذ كامل الجادرجى الموجودة فى المجمع العلمى وقد نشرتها مجلة الثقافة الجديدة فى العراق .

( ٥ ) ديوان الزهاوى ( مصر١٩٢٤ ) ص ١٩٦ وص ٢٨٠ واللباب – ( بغداد ١٩٢٨ ) ص ١٤ وص ١٢ .

( ٦ ) اللباب – ص ١٥ – ٠

( ٧ ) للتفصيل يراجع فى غمرة النضال ص ١٢٨ وما بعدها وجريدة صدى بابل العدد ١٨٤ / ٤ / ١٩١٣ .

وقد أفسح الدستور العثمانى للحركة القومية مجالا واسعاً فقد أصبح بمقدور الشباب العربى التكتل رسمياً وإنشاء الأحزاب التى أخذت تنادى بالفكرة القومية ، فقد أسس العرب عشر جمعيات ، أربعاً منها (٨) فى الآستانة . وكان لهذه الجمعيات أثر فعال فى تنبيه الرأى العام العربى فقد أخذت الجرائد تنشر المطاليب وتعلق عليها وتطالب بتطبيقها . خاصة بعد ظهور العنصرية التركية والتمهيد لتتريك العرب صراحة (٩) . ولكن الأتراك الذين ادعوا أنهم منحوا الدستور لجميع شعوب الإمبراطورية العثمانية عادوا يسلبون ما منحه الدستور بعد أن تكاثرت الصحف العربية ، فقد بلغت (١٢)جريدة فى بغداد وحدها وارتفع العدد إلى(٩٦) جريدة و (١٤) مجلة وبلغ فى البصرة (١١) جريدة وفى الموصل جريدتان (١٠). وقد زاد من أهمية هذه الجرائد أنها ميدان للمندفعين المتحمسين للدستور كالرصافى وفهمى المدرس الزهاوى وقد كانت على رأس هذه الجرائد جريدة ( بغداد ) التى كان رئيس تحريرها معروف الرصافى . هذه الجرائد أخذت ترسل بأضواء جديدة ساطعة تكشف حال العرب وتدعو إلى المساواة والحرية التى نادى بها الدستور ، ومع أن بيع الجرائد كان محدوداً إلا أن أثرها كان كبيراً فقد كانت الآراء والأخبار تتناقل بين أبناء الشعب لأن الخبر الذى يقرأ تتناقله ألسنة الشعب فى الدواوين والمقاهى وكل خبر جديد أو حدث طارئ لابد أن يستأثر بالإعجاب أو الاستهجان وفى الحالتين يكون مجالا للرد والنقد والنقاش ، وانتشرت كلمات جديدة كالدستور والحرية والمساواة والعدالة والظلم والاستبداد والطغيان . وكلمات أخرى لم يكن الشعب بقادر على ذكرها رددتها هذه الجرائد ، يضاف إلى ذلك أن الولاة

---

(٨) جمعية الإخاء العربى شكلها شفيق المؤيد وزملاؤه ، والمنتدى الأدبى أسسه عبد الكريم الزهراوى وعبد الكريم الخليل والجمعية القحطانية شكلها خليل حمادة باشا وعبد الحميد الزهراوى وسليم النجار وزملاؤهم . وشكلت اثنتان فى مصر واثنتان فى سوريا ، أما فى العراق فقد أسس السيد طالب النقيب جمعية البصرة الإصلاحية وأصبح لها فرع فى الموصل باسم جمعية العلم وكانت خاصة بالضباط . وقد أنشأ عزيز باشا المصرى جمعية العهد السرية وغايتها استقلال البلاد العربية استقلالاً داخلياً متحدة مع الدولة العثمانية ، وانتمى إليها كثيرون من ضباط العرب وهى شعبة من الجمعية القحطانية .

راجع بشأن الجمعيات العربية فى غمرة النضال ص ٨٥ وص ٨٦ وجريدة النهضة العراقية العدد ٣٠ السنة الأولى ١٩٢٣ وما بعده مقال قيم للشيخ على الشرقى ونهضة العرب لجورج أنطونيس – الفصلين الخامس والسادس وثورة العرب – مقدماتها أسبابها نتائجها – بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية – مطبعة المقطم مصر – ١٩١٦ ص ٥٦ – ١١٥ والثورة العربية الكبرى – لأمين سعيد جـ١ ص ٥٠ – ٥١

(٩) فى غمرة النضال ص ٨٤ أخذ بعض ما نشر فى جريدة اقدام التركية .

(١٠) جريدة البلاد العدد ٤٧٢ شباط ١٩٣٥ . مقال مفصل لإبراهيم حلمى العمر ويراجع فى غمرة النضال ص ٨٠ و٨١ .

والموظفين استهدفوا لحملة من الجرائد بالمطالبة بالإصلاحات التى حتمها الدستور حتى نشرت جريدة الرياض قصيدة هاجمت فيها والى بغداد ناظم باشا[١١] الشخصية التى لم يكن يجرؤ إنسان على ذكرها إلا بالاحترام والتبجيل .

ولعل أهم ظاهرة تستلفت النظر أن أكثرية الجرائد كانت جرائد معارضة تندد بسياسة الحكومة التركية وتهاجم الاتحاديين الذين تنكروا للمبادئ التى أعلنوها ، وكانت هذه الجرائد عنيفة فى مهاجمة حكومة الآستانة الاستبدادية وتدافع عن كيان الوطن العربى الكبير دفاعا عنيفاً بعد أن شعرت بما بيت لها الاتحاديون ، ولم يكن للاتحاديين سوى جريدة أو جريدتين تؤيد سياستهم وتصد الحملات القلمية ، غير أن هذه الحرية الواسعة أخذت تضيق يوماً بعد يوم وعدلت بعض القوانين وأخذت الصحافة تعانى أعباء ثقيلة حتى أقيمت (٤٨) دعوى على الصحف الوطنية وحكم على بعضهم بأحكام متفاوتة كالنفى والتعطيل ، ففر بعضهم خوف البطش والسجن[١٢]

وقد تكون الحكومات قادرة على كم الأفواه ومنع الحريات العامة ، ولكنها لن تقدر على تبديل الاتجاه الفكرى للشعوب الواعية ، فقد أخذت الثقافة العامة فى الانتشار بين الناس وتفتحت روح النقد والمقارنة وأخذ العرب يشعرون بما يضمره الاتحاديون ، وقد هاجمت جريدة ( إقدام ) العرب صراحه فثاروا وتظاهروا[١٣]

وقد نبه الوعى السياسى فى العراقيين تأسيس دولة فى الحجاز وأخرى فى سوريا بطابع عربى مستقل يحكمها العرب[١٤] شارك فيها جماعة من العراقيين وكانوا سبباً من الأسباب فى محاربة المستعمر راغبين فى المساواة بالدولة الحجازية والدولة السورية .

وقد غذى روح النقمة والألم فى النفوس سوء إدارة المحتلين وامتهان كرامة الشعب وحكمه حكما دكتاتوريا عسكرياً أنهك الشعور الوطنى . وللقضاء على الحركات التحررية والآراء

---

(١١) جريدة البلاد العددين ٤٧٢ و٤٧٣ وعن جريدة الرياض لسليمان الدخيل النجدى ، وهاجم الزهاوى ناظم باشا وما قاله : إنه وسع الطرق وضيق الأفكار .

(١٢) جريدة البلاد ٤٧٣ / ٦ / ١٩٣٥ ويلاحظ فى غمرة النضال – ص ٨٠ – ٨٣ و٧١ – ٧٤ .

(١٣) فى غمرة النضال ٨٣ و٨٤ لاحظ رسالة السيد طالب النقيب الذى يقول فيها ( صارحنى أعداء لغتنا وأمتنا ، ولا سيا خليل بك رئيس مجلس النواب بما فى نفوسهم ، وهو أنهم سوف يقتادوننا إلى المشانق كما تساق الأغنام إلى المسالخ إذ كنا نحن العرب لا نوافقهم على آرائهم ونسير بأوامرهم ) . فى غمرة النضال ٨٧ .

(١٤) The Insurrection in Mesopotamia P. 26.

القومية كان المستعمر يريد أن يجعل من العراق تابعاً للهند وقد عومل الشعب معاملة سيئة ولم يكن المستعمر يفهم روحية هذا الشعب للمستعمر ، وظنه سيرضخ بسهولة له بالغرامات التى يفرضها والسجون التى يحكم بها والاعتقالات والمنافى التى يصدرها على أبناء الشعب الأحرار ونسى أن هذه الأعمال الاستفزازية أثارت فى نفوس الشعب الحقد والكراهية للاستعمار الإنكليزى ، خاصة ، وقد ظلم المستعمر الطبقة المثقفة الواعية وقادة الرأى فيه[١٥] . وقد بدا ذلك واضحاً بالتصلب الذى أبداه الشعب والتمسك بمطالبهم بالاستقلال دون خوف من التضحيات والآلام التى كان يصبها عليهم المستعمرون . وقد عكس هذا الرأى محمد رضا الصافى فى شعره الذى نظمه فى السجن وقد كان قد عرض على المشنقة ثم عفى عنه قال :

إن من رام مثلمـــا قد طلبنـــا ... لا يبالى أن سيق للمـــوت سوقا
رخصت عندنا النفوس فثرنـــا ... نطلب العـــز والعـــلا لا لنبقى
ولقد سامنـــا العـــدو احتقارا ... فرآنا نستسبق المـــوت سبقا
أنـــا من أسرة كـــرام أبـــاة ... لا يرون الحيـــاة فى الذل أبقى
شرع أن يكون موتى حتفـــاً ... أو أرانى يكون موتى شنقا [١٦]

وظهرت روح النقمة والثورة ، على الاستعمار الإنكليزى واضحة فى الشعر العراقى ، تطالب بالكرامة واحترام العراقيين الذين لا يقلون عن المستعمرين فى المزايا . أليسوا بشراً لهم عواطفهم وأحاسيسهم ! ؟ فلماذا يمعن الإنكليز فى إذلالهم ! ؟ إن الشعب العراقى شعب يعتز كثيراً بفرديته وإنسانيته وقلما انصاع إلى حاكم أو سلطان يريد أن يحتقره ويفرض عليه رأيه . شعب يحب الحرية الفردية ويتعشقها ، بيد أن الحكام الإنكليز أساءوا إليه وأساءوا إلى حكوماتهم زاعمين أن الشعب فى العراق يريد أن يبقى الاستعمار الإنكليزى وأن استمرار حكم الاستعمار سوف يوطد النظام كما صنع ( ولسن ) فى الاستفتاء الذى أجراه[١٧] فقد بعث إلى الحكام السياسيين فى الألوية والأقضية يطلب منهم أخذ رأى

---

(١٥) كان الحاكم السياسى فى النجف إذا أراد التجول فى الطرق يرسل لفيفا من الشرطة وبيدهم السياط يجبرون الناس على الوقوف احتراماً للقادم وبعبارات شائنة ( العراق فى دورى الاحتلال والانتداب – ص ٣٦/١ وص ٦٥ ) . ويلاحظ ( الحقائق الناصعة ) ص ٢٥٢ ففيه مثل آخر .

(١٦) الأمواج للصافى النجفى ص ١١٩ ضمن التخميس . ومن المفيد مراجعة قصيدة محمد جواد الجزائرى ص ٤٠ جـ١ فى ( العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ) .

(١٧) لاحظ بشأن الاستفتاء ( الحقائق الناصعة ) ص ٦٩

الشعب لتقرير مصير العراق ، ومعه تعليمات خاصة توجههم بها إلى وجهة نظره فى الاستمرار فى الحكم البريطانى ، غير أن الاستفتاء قوبل بالمقاومة الشديدة وبتوقيع عرائض تطالب بإقامة حكومة عربية إسلامية ملكها عربى مسلم مقيد بمجلس تشريعى وطنى[١٨]

كانت هذه الأمور تجرى أمام سمع الشعب وبصره ، ولكنه لم يكن بقادر على أن يصنع شيئاً فقد كانت قوات الاحتلال تفوقهم عدة وعدداً لذلك كانت شكاواهم مؤلمة دفينة كقول محمد الباقر الحلى :

شكوت إليك لا جـزعاً ولكن ... لتعلم كيف قد حكموا فجـاروا
سأبقى ما حييت أبا (على) ... ولى يـوم مع الحلفـاء ثـار
أبا الأشبال عفـواً سوف أبقى ... أجاهد كى يتم لنـا انتصـار
سئمت المكث فى كنف الأعـادى ... فهـل لى فى جواركم قـرار

وروح النقمة كانت روحاً ثائرة تريد الانتقام من الخصم العنيد الذى أذلها فى كل مكان عاشت فيه . فى الشارع وفى البيت وفى السجن ، فقد كان المسجون يقابل بأسوأ ما تقابل به الحيوانات من جوع وعرى ، يفترش الأرض ويلتحف السماء ، فقد قال محمد الباقر يصف حالة السجين :

نقضى يومنـا جوعاً ونمسى ... وليلتنـا يماثلهـا النهـار
نبيت بلا فـراش أو وساد ... لكل ثلاثـة منـا إزار
لرب السجن نبسط كل حين ... أكفًّا خط فيهـن الصغار[١٩]

ولم تكن هذه الحالة محتملة حتى من أولئك الذين كانوا يسيرون فى ركب الإنكليز ويوالونهم فلم يصطبر الزهاوى على حالة العراق العامة ، إذ بلغ الظلم أقصاه وأسبغت على المحاسيب النعم والأموال ، فكانت قلوبهم تغلى من الغيظ والنقمة والألم ، وليس غير الاستقلال من دواء شاف لهم فقال :

يا أيـدى الظلم شـلى ... ويا بـلاد اسـتقلى
ويـا رجـاء تعـزز ... ويـا مصـاعب ذلـى

---

(١٨) المصدر السابق ٦٩ والصفحات التى تليها . ولاحظ ص ٨١ فتوى محمد تقى الشيرازى التى قطعت لسان كل خطيب فقد قال : ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة أو السلطنة على المسلمين .

(١٩) مخطوطة فى مكتبتى الخاصة تفضل بها على الشاعر وهى بخط السيد حسن عزام .

حتى يقول من القصيدة

ليس الحيـــاة بعـــز مثـــل الحيـــاة بـــذل
قد جـــاء يوم بأيـــدى فيـــه أكسر غـــلى
إن القلـــوب مـــن الغيظ كالمراجـــل تغـــلى[٢٠]

ولم تكن قلوب طبقة من طبقات الشعب العراق راضية على الاستعمار الإنكليزى لما جاءت به من حكم عسكرى يسوق الناس على الظن ويتهم المثقفين وغير المثقفين بدون حساب وبدون محاكمة ، لذلك كانت نفوس أبناء الشعب تضطرم وتضطرب ، وكان من جرائها ثورة الشعراء العارمة لمصاولة المستعمر لربح الحرية والاستقلال ، وقد بذل الوطنيون جهوداً فى سبيل إعداد الرأى العام وتوجيهه بما نشروه من مقالات وما كانوا يخطبون به فى المساجد أيام الجمع وأيام ميلاد الرسول وغير ذلك من المناسبات ، وما كانوا يتحدثون به فى مجالسهم ودواوينهم وما كانوا ينشرون فى مدارسهم . كانت ثورة عصفت بالظلم وامتهان قيمة الشعب كبدت الظالمين ومن يسير فى ركابهم الغالى .

(٢٠) اللباب ص ٩٤ وديوان الزهاوى ص ٢٩٥ .

## ٢

# التحريض على الثورة

كانت مطاليب العراقيين بادئ ذى بدء همسات ورسائل يكتبها بعضهم إلى بعض لإظهار الامتعاض والنقمة والألم مما وصلت إليه الحالة العامة للبلاد من السيطرة المباشرة على جميع مقدرات البلاد من قبل جيش الاحتلال ، ومن تلك الرسائل رسالة بعث بها سعد صالح سنة ١٩١٩ إلى صديقه الشاعر أحمد الصافى يدعوه فيها إلى بث روح المقاومة ضد قوات الاحتلال ويدعوه صراحة فيها إلى ثورة مسلحة لتخليص البلاد من الاحتلال لأن الاحتلال عار لا يرضاه العراق ولن يغسل هذا العار إلا سيل الدماء وتطهير الأرض الكريمة من سيطرتهم . كتب يقول :

عزيز على الحـــر تلك البـــلاد يراهـــا رهينـــة قهارهـــا
أأحمـــد قف بضـــواحى العراق ونـــاد بواسل أحـــرارها
إلى كم نكابـــد مـــر الهـــوان وتشقى البـــلاد بأغيـــارها
أما آن أن تنتضى بيضهـــا وترمى الغـــداة بثوارهـــا
لعـــل الدمـــاء إذا ما جـــرت على الأرض تغسل من عارهـــا [١]

ومن ثم أخذت هذه الهمسات وهذه الشكاوى تصدر من هذا الطور إلى الخطب فى المساجد وفى المناسبات الدينية لأن الاحتلال الإنكليزى العسكرى أخذ يشعل روح الثورة فى النفوس ودون خوف من السطوة والقوة [٢] إذ صمم العراقيون على عمل شىء يستعيدون به كرامتهم المهدرة ، فبدأت حركة التحرر تخرج من طور الفكرة إلى حيز العمل . وقد كان يغذى هذه الروح الرأى العام العالمى والجمعيات السرية التى كانت تعقد اجتماعات لتنظيم السياسة التى تسير عليها ، ومن ثم توسعت هذه الجمعيات وأنشأت لها فروعاً فى كثير من أنحاء العراق ، وقد كان محور الحركة بغداد التى اتصلت بالنجف وتعرف القائمون

---

(١) سعد صالح ص ١٤٧.

(٢) لاحظ ملحق رقم ٤ ص ٣٢٥ من كتاب Sir A. L. Haldane. تجد إحصائية مفصلة عنها .

بالحركة على استعداد الوطنيين جميعا لمؤازرة حركة الاستقلال التى تديرها جمعية حرس الاستقلال ، ومما زاد فى قوة الحركة الوطنية انضمام أعلام رجال الدين ومؤازرتهم لها . ونشر بلاغ من الحكومة الإنكليزية ، تعلن الانتداب على العراق[٣]

اجتمع الوطنيون وقرروا القيام بمظاهرات سلمية تحت الستار الدينى واغتنام شهر رمضان[٤] وإقامة سلسلة حفلات لاستثارة روح الشعب . وقد كان الإقبال يزداد يوماً بعد يوم ، وأخذ الوطنيون يحتالون فى عقد هذه الاجتماعات تارة بإقامة حفلات للمولد النبوى وأخرى بتغيير مواعيد هذه الاحتفالات ومرة بنقلها من محلة إلى محلة أخرى . وقد كانت هذه الاحتفالات الدينية تتطور إلى تجمهر الشعب وخروجه ساخطاً على الإدارة المحتلة . وأشهر المساجد التى اشتهرت فى هذه الاحتفالات كان جامع الحيدرخانة . فقد كان لخطباء يتولون مهمة حث الشعب على الثورة بعد الصلاة أو بعد قراءة المولد النبوى[٥] متخذين من جهود الرسول صلى الله عليه وسلم وصبره على مبادئه وتفانيه فى سبيل الإسلام رمزاً ومن استشهاد الحسين وإبائه وتضحيته نبراساً . يدفعون بها الشعب نحو الثورة .

فلما رأت سلطات الاحتلال خطر هذه الاجتماعات منعتها وأخذت ترهب الناس بالرشاشات[٦] ومن هذه الاحتفالات احتفال أقيم فى الحيدرخانة وأنشد السيد عيسى عبد القادر قصيدة دعا فيها صراحة إلى الثورة شارحاً ما حل بالبلاد من جور واستبداد منها :

بنى النهرين نسل الطيبينا ... أفيقوا واسمعوا الحق اليقينا
تفرقنا طوائف واختلفنا ... فأصبحنا جميعا صاغرينا
وأسلمنا بأجمعنا لقوم ... بغاة من طغاة جائرينا
فجاروا واستبدوا ما استطاعوا ... وذا شأن البغاة الظالمينا[٧]

وليست هذه القصيدة من عيون الشعر العربى وليست من خير ما نظم فى هذه الفترة

---

(٣) العراق فى دورى الاحتلال والانتداب جـ١ ص ٨٠

(٤) يلاحظ منشور القائد العام فى تاريخ القضية العراقية ص ١٥٨.

The Incurrection in Mesopotamia P. 36.

(٥) ويلاحظ تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦ وما بعدها .

(٦) فى غمرة النضال ص ٢٤٥.

(٧) مخطوطة فى مكتبتى بخط الشاعر .

ولكن جو الاحتفال وطبيعة الفرد فى الجموع المتحمسة وانقاد الروح الوطنية فى هذه الفترة أظهر للقصيدة أثراً كبيراً . . ولم تكن هذه القصيدة الوحيدة التى ألقيت ، فقد كان من خطباء هذا الاجتماع عبد الرحمن البناء وطالب مشتاق والشيخ مهدى البصير وعبد الرزاق الهاشمى ، ولكن كان أثرها أكبر من أثر غيرها من القصائد مما اضطر السلطات العسكرية إلى اعتقال الشاعر وإرساله إلى البصرة .

فما كان من الوطنيين إلا اغتنام هذه الفرصة فاحتجوا احتجاجاً شديداً وأغلقت المخازن ووقفت الأعمال وأقيمت مظاهرة كبيرة احتجاجاً على هذا الاعتقال[٨] جرت إلى قتل أخرس دهس بسيارة فاحتفل به احتفالا رائعاً وسماه الناس ( شهيد الوطن ) لإثارة الوعى القومى فى النفوس[٩] .

وقد كان خطباء الثورة وشعراؤها يبذلون جهدهم فى تحريض الناس بإخلاص ووضوح محددين هدفهم وغايتهم التى كانت محاربة المستعمر وطرده من بلادهم ، وقد ظهرت هذه الرغبة فى محاولتهم إقناع الشعب للسير متضامنا معهم ، لأن إقناع الشعب فى أمر من الأمور والإ يحاء إليه سيدفعه بعنف وبإخلاص وبلا شعور ، لذلك كان الشعر يطفح بالوضوح وكلمات الحماسة حتى يفهم الشعب سريعاً وبيسر وسهولة . فابتعد عن التقليد والتقيد وجانب الصناعة اللفظية وانتقاء العبارات . وركز على الكلمات المثيرة المهيجة التى تمس الشعب الحساس وقد ظهرت روح العراق الحزينة فى شعره جلية فقد كانت الهموم تطفح من ثنايا شعره ، فقد قال عبد الرزاق الهاشمى :

وطنى العزيز إلى متى ... متكبد كل اضطهاد
يأيها الشعب الذى ... اضطهدوك كم لك من أيادى
رتعوا بنعمتك التى ... درت على حسب المراد[١٠]

---

( ٨ ) اجتمع المتظاهرون فى جامع الحيدرخانة وانتخبوا من يمثلهم لمفاوضة سلطات الاحتلال فى إلغاء الحكم العسكرى وتأسيس دولة عربية . لاحظ أسماء المندوبين فى ( فى غمرة النضال ) ص ٤٧ .

( ٩ ) يقول الأستاذ البصير إنه قتل بطلقة فى ١٥٠ من تاريخ القضية العراقية وكان من نتيجة ذلك أن أرسل حاكم بغداد العسكرى والسياسى فى طلب السيد أبو القاسم والشيخ أحمد الشيخ داود والشيخ أحمد الظاهر وجعفر أبو التمن ورفعة الجادرجى والشيخ سعيد النقشبندى وعبد الرحمن الحيدرى وعبد الوهاب النائب وعلى البارزكان والسيد عبد الكريم حيدر وفؤاد الدفترى والسيد محمد الصدر ويوسف السويدى وياسين الخضيرى ومحمد مهدى البصير .

راجع تاريخ القضية العراقية بشأن ترجمة كل واحد منهم ص ١٥٠ وما بعدها .

(١٠) الأخبار فى سير الرجال : خالص حمادى ص ٧٠ .

وقد كانت الخطب والقصائد مسابقة وطنية سمت فى روحها ومشاعرها وطفحت بنغمات وجدانية عميقة لأن الشاعر كان يحس بأنه يكافح عن حقوق بلاده ويريد أن يهز جماهير السامعين وينقل إليهم مشاعره . وكان الشاعر المجلى هو من يسيطر عليهم ، وإلقاء هذه القصائد تكسب الشاعر فخراً وعزاً لسببين الأول المناسبة الوطنية والثانى ما تضيفه الجماهير على الشاعر من احترام يملأ النفس غبطة وسروراً . أما من الناحية الفنية فإن هذا الشعر لن يكون خالداً ، إنما يذهب بذهاب المناسبة التى قيلت فيه ، بيد أنه يقوم بواجبه خير قيام فيغذى الثورة ويدفعها . ومع ذلك فإن هناك بعض الطفحات الفنية يتلمسها الباحث بين خضم الشعر الهادر . وليس شعر الثورة فى العراق وحده اختص بهذه الميزة فكل شعر أمة يكون فى مثل هذه المناسبة يكون من نصيبه مثل شعر هذه الفترة لأن الثورة اندفاع وحماس وعاطفة متأججة ولا مجال للروية وإعمال الفكر وتنميق الأساليب ، ولا يكون شعر الروية إلا فى أيام هدوء الأمة وصفوها واستقرارها لأن الفن وليد الاستقرار والهدوء والطمأنينة . أما شعر الثورة فهو الوقود لإذكاء الشعور بالألفاظ والموسيقى

وقد كان يغذى هذا الشعر شعور عميق كامن فى حنايا الصدور هو الشعور الدينى يغطى طوراً بالوطنية وآونة بالقومية ومرة يبرز مع بغض المستعمر . لأن الشعور الدينى الذى تربى عليه هؤلاء الشعراء كان يجرى فى أحاسيسهم وقلوبهم فجرى مع التيار القومى الجديد . . ثم إن الدين الإسلامى كان الرابطة التى تربط العرب بالعثمانيين الأتراك . . وليس من السهولة أن يتخلص المرء من عقيدته أو من دينه وتثور فى نفسه بين آونة وأخرى ثورة على ما صنعه ، إذ كيف يهاجم إخوانه المسلمين . . هو بحاجة إلى إقناع نفسه وتبرير عمله هذا . .

وقد كان من هؤلاء الشعراء المخلص المؤمن بعقيدته ، يحارب من يحارب المسلمين ، ولكنه حارب الدولة العثمانية فى سبيل استقلاله وفى سبيل حريته وفى سبيل عروبته ، فجاء الإنكليز وسيطروا على العراق وهم بعيدون عن الشعب بكل شىء . . فكيف يرضى الذل تحت سيطرة الحكم الإنكليزى الذى يسومه سوء الهوان . . لذلك اتخذ الشاعر العربى المسلم الدين وسيلة ليرضى ضميره وقلبه . . والفكرة الدينية التى ركن إليها الشاعر تمنع حكم غير العربى المسلم الهاشمى ، وحكم الإنكليز مخالف للمنطق الإسلامى والحق يقال ، فقال محمد حبيب العبيدى :

ما تركنا إخواننا الأتراكا  فخذلناهم ووازرناكا

شغفاً يا ابـــن لنـــدن بهواكا بل لنيـــــل استقلالنـــا بولاكا
فلماذا تكون فينـــــا وصيـــا

ويدلى بالحجة والأسباب التى تمنع الإنكليز من أن يكونوا أوصياء على الشعب فقال :

لم تكن يا ابـــن لنـــدن علويًّا هاشميًّا لا ولم تكن قرشيـــًا
لا ولا مسلماً ولا عربيـــــا من بنى قومنا ولا شرقيـــا
فلمـــاذا تكون فينـــــا وصيـــا

لذلك فالاستعمار الإنكليزى استعمار جائر ، استعمار يجب أن يحارب ، لا تقره أصول البشرية ولا القواعد الإسلامية ، وبقاء الإنكليز سيستمر إلا إذا شن العرب الغارة وطردوا المستعمر بالقوة ، وليست قواهم بتاركة هذه البلاد إلا بالمبادرة إلى العمل : لأن سكوتنا سيخيب الآمال :

إنما نحن فى الحروب رجـــال وكماة يـــوم الوغى أبطـــال
يا لقومى فلتنتج الأعمـــــال يا بنى العرب خابت الآمـــال[١١]
إن رضيـــــــنا بالأجنبى وصيـــا

وقد نظم خلال الثورة شعراء آخرون [١٢] وقد كانوا جميعاً متفقين فى الهدف وهو المطالبة بإنهاء الحكم الأجنبى فى العراق وإنشاء حكم وطنى أساسه الاستقلال والحرية ، فمن هذه القصائد التى ألقيت فى جامع الحيـدرخانة قصيدة عبد الكريم العلاف [١٣] منها :

ألا خبروا عنـــا العـــداة بأننـــا أناس على ذل الوصاية لا نرضى
وقولوا لهم وفـــوا العهـــود فخلفكم أسود عرين رابضـــون لكم ربضـــا
فنحـــن عرفناكم بكل سياســة وإن كان بعض منكم يجهـــل البعضا[١٤]

(١١) الأخبار فى سير الرجال ص ١٣٤ .

(١٢) إن استقصاء أسماء الشعراء لا يمكن حصره من هؤلاء الشعراء الذين عثرنا لهم على نتاج محمد مهدى البصير ومحمد حبيب العبيدى وعبد الرزاق الهاشمى وعيسى عبد القادر ومحمد الباقر الحلّى وملا عثمان الموصلى ومحمد حسن الحداد الكاظمى ومحمد عبد الحسين سركشك وناجى القشطينى وعبد الرحمن البناء وحسن الجواهرى ومحمد مهدى الجواهرى ومصطفى جواد وعبد الكريم العلاف .

(١٣) أخبرنى الأستاذ العلاف بأنه ألقى ثلاث قصائد فى مناسبة الثورة .

(١٤) مخطوطة فى مكتبتى نقلتها من ديوان الشاعر .

وأشهر شعراء الثورة العراقية هو محمد مهدى البصير فقد جاء من الحلة إلى بغداد لإنشاد الشعر وإهاجة الناس وتحريضهم وبث روح الحماسة فى نفوسهم ، وقد كان البصير قوياً عنيفاً متحمساً مكثراً فكان ذلك مدعاة نفيه إلى ( هنجام ) بعد أن سجن فى العراق . ويمتاز شعر البصير بأسلوب جزل ومتانة فى التعبير ورصانة فى الألفاظ وتبدو المسحة العباسية واضحة على شعره ، ومن قصائده قصيدة طويلة يخاطب بها الوطن ويحرض أبناءه على الثورة ويقدم نفسه فداء له . ويتمنى هذا الفداء والموت فى سبيله وإلا فلا حق له فى أن يدفن فى ثراه الطاهر الزكى ، وثم يفضح نوايا الاستعمار والساسة الذين موهوا عليه ، فقال من قصيدة ألقاها فى جامع الأحمدية :

كذبتك أقطاب السياسة عهدها ... فلتضمننّ لك الحياة ضباكا
أفيطلبون لك الرعاية ضلة ... ما كان أقصرهم وما أحجاكا
ويؤملون لك المعونة باللها ... ما كان أفقرهم وما أغناكا
لو أنصفوك لحرروك لأنهم ... ربحوا قضيتهم بظل لواكا

ومنها :

ما أولع الأحرار منك بتربة ... يفدون منها بالرقاب رباكا[١٥]
يصبو قتيلهم بكل صفيحة ... أخذته حتى صار من قتلاكا[١٦]

وله قصيدة تتجلى فيها الروح الأبية التى كانت تسيطر على روح الشعب المتوثب ، فقد أراد هذا الشعب أن يتحرر بقوته وأن يأخذ حريته أخذ القادر العزيز ولا يريدها منحة يعطيها له المستعمر فيكون المتفضل ، قال البصير :

ليحطم المستعمرون قيودهم ... فالجوّ آيسهم من الأعناق
واشق من أسرى على بان أرى ... يد آسرى يوماً تحل وثاق[١٧]

وقد فاضت القصائد التى نظمت فى هذه الفترة بالحث على الثورة وبالتغنى بالأمجاد

---

(١٥) لم يمكنى الدكتور البصير من ديوانه لذلك أعتمدت على المنشور من شعره ، ولعل الظروف التى كانت قائمة عند ما كتبت هذا الكتاب ومنعت الاستفادة من ديوان الشاعر قد زالت .

(١٦) الأدب العصرى جـ٢ ص ٩٧ وله قصيدة نشرت فى جريدة العراق العدد ٥٨١١ / ٢١ فى ١٨ حزيران ١٩٤١ وقد ألقيت الكافية فى جامع الأحمدية راجع الوقائع الحقيقية ص ٩٧ و٩٦ .

(١٧) الوقائع الحقيقية ص ٩٦ وله بعض قصائد ذكرها المؤلف

العربية ، فقد أراد الشعراء أن يبعثوا فى الشعب ثقته بنفسه وبكرامته فيرى نفسه نظيراً لهؤلاء المستعمرين قوة ومقدرة لذلك اتخذوا التاريخ الإسلامى معواناً لهم فى دفع الجماهير نحو الثورة ، وطفحت القصائد بالحث على كره الأجنبى وكان هذا الكره نتيجة حتمية وصدى لواقع العراق الذى سامه الاستعمار الهوان وأذاق أبناءه الذل . إن كره الإنكليز أدى إلى كره كل أجنبى ومقت كل غريب عن الشعب خوفاً وحذراً ، مما يجره عليهم هذا الأجنبى الغريب ، ما جره الإنكليز وحلفاء الإنكليز عليهم فهذا القشطينى[١٨] يسخر بحرارة من وعودهم التى حنثوا بها فيقول :

قد غرك البرق اللموع فبات صدرك منشرح
وفرحت من كل الوعود وخاب من فيها فرح
أين الحليف وأين من يصغى إليك فتقترح
قد خان عهدك هازئاً لما بتجرته ربح

ثم ظهرت الدعوة الصريحة لأخذ الحق بالقوة ، فقد فشلت الطرق السلمية فى أخذ الحق من يد الظالم ، ومتى سلم الظالمون بالحقوق بسهولة ؟ وقد كان بالأمس حليفاً حارب معه العرب وتحملوا من أجله الموت فانقلب سيداً شرساً ظالماً . فهناك مبررات كثيرة دفعت العربى إلى حرب الحليف الذى لم يرع الذمام ، وهل هناك شرف وفخر يزاحم شرف الموت فى سبيل الأوطان وفى سبيل الحياة الكريمة .

يا أيها العربى قم واقدح زنادك ينقدح
وافتح طريقك بالظبى فبغيرها لا ينصلح
وخذ الحقوق جميعها أو مت عزيزاً واسترح[١٩]

وقد قال البناء إن إنكلترا تدفعنا للحرب دفعاً ولكن متى ما حاربناها فستكون الحرب سعيراً تتلظى تحرقهم ، وسنحاربها لأن الحرب خير طريق للحرية برغم ما فى الحروب من مآس وبلايا قال :

وإن ألجأتنا للحروب فإننا نحاربها حرباً تضيق خناقها
نحاربها والحرب خير محرر وإن كره الأغرار مرّ مذاقها[٢٠]

---

(١٨) ألقى القصيدة الأستاذ توفيق المختار فى جامع الشيخ صندل فى الكرخ .
(١٩) مخطوطة بخط الشاعر فى مكتبتى وقد نشرت فى مجلة الأخلاق العدد ١٦ السنة الأولى ١٩٢٨ .
(٢٠) مجلة الأخلاق العدد ١٦ السنة الأولى ٨ مارس ١٩٢٨ .

## ٣

# المقاومة العلنية

وما كان العراقيون مستعدين للثورة ، فلم تكن الآراء قد تبلورت واستعدت لها من قبل ، وإنما دفع العراق لها دفعاً . فقد كانت آراء القادة والزعماء غير مستقرة ، فكان منهم الخائف الضعيف ، ومنهم المتروى المتزن ، الذى يخشى على العراق نتائج ( فشل الثورة ) ، ولم تكن للثورة خطة واضحة للسير فى هداها ، ولم يكن هناك رأى عام موحد لنظام الحكم الذى يريدونه ، إنما كانت آراء مضطربة واتجاهات ليست مدروسة ، فهذا يريد العراق تحت حماية بريطانيا[١] وذلك يريدها حكومة ملكها برسى كوكس[٢] وجماعة يريدونها ملكية وآخرون يفضلونها جمهورية ، ويثار الاختلاف فى من يكون الملك ومن يكون رئيساً للجمهورية ولا يصلون إلى نتيجة يتفقون عليها .

ولكنهم كانوا متفقين على شىء واحد هو الحصول على الاستقلال وحكم العراق من قبل أبنائه ، أما موقف الاحتلال فقد كان المماطلة المستمرة دون النظر إلى التصريحات التى كانت تنشر عن حق تقرير المصير[٣] وكانت تعامل العراقيين معاملة سيئة وتهين الشعب وتستفزه . فقد التجأ ( ولسن ) إلى العنف وأخذ يمنع الحفلات التى تقام فى المساجد . ولما اجتمع الشعب فى الحيدرخانة ، شتت المجتمعين بالقوة[٤] فقُتل شخص ، ثم لاحق زعماء الحركة لإلقاء القبض عليهم ، كما أنه أعدم بعض الذين قاموا للحيلولة دون الوصول إلى دار يوسف السويدى وإلقاء القبض عليه وألقى القبض على آخرين[٥] من بغداد وبعض أنحاء العراق ، فولّد جواً رهيباً كان له رد فعل عنيف فى النفوس ، فتهيأت النفوس واستعدت

( ١ ) الوقائع الحقيقية ص ٦٤ و٦٨.

( ٢ ) الوقائع الحقيقية ص ٦٩.

( ٣ ) تاريخ القضية العراقية ص ٧٨ والعراق من الاحتلال إلى الاستقلال ص ٢٦ والحقائق الناصعة والطريف أن يتلى تصريح بريطانيا وفرنسا فى أحد اجتماع العراقيين بالحاكم العسكرى . راجع ص ١٦٢ وما بعدها من تاريخ القضية العراقية .

( ٤ ) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦.

( ٥ ) تاريخ القضية العراقية ص ١٨٥ وما بعدها وقدذكرها البصير ترجمة لحياة الشهيد عبد المجيد كنه ص ١٨٧.

لإشعال نار الثورة ، وفكرت فى مقاومة المستعمر مقاومة علنية ، ولم تكن مدن العراق الأخرى بمنجاة من سياسة العنف ، فقد حدث فى النجف وكربلاء والحلة والديوانية ما زاد إضرام القلوب حقداً ورغبة فى الثورة[٦] . ولم تجد المراسلات التى جرت بين زعماء الدين والبريطانيين فى تخفيف سياسة العنف[٧] وجاءت فتوى الشيخ الشيرازى محققة لأمانى البلاد ، إذ أفتى بأن ( مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم من ضمن متطلباتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطاليبهم [٨] ) .

لم يكن مركز الثورة بغداد وإنما كانت هناك عدة مراكز فى أنحاء العراق وكان من جراء مطاردة المستعمر للأحرار أن انتشروا فى العراق وكانوا الواسطة لتأليب الشعب على الثورة ، وكانت حالة البلاد العامة مدعاة إلى اجتماع الزعماء للتفكير فى أنجع الطرق للتخلص من الحالة المؤلمة ، والمصير الذى آلت إليه البلاد ، فاجتمعوا فى دار أحد الزعماء وانبرى السيد محمد الباقر الحلى[٩] وخطب فيهم خطبة ثم قصيدة حذرهم من الإنكليز والركون إلى وعودهم وضرب لهم أمثلة من أعمالهم التى قاموا بها فى مصر والهند منها :

بنى العرب لا تأمنوا للعدى مكرا ... خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة ... ويبغون إن حانت لهم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا ... أضاليلهم فى الهند والكذب فى مصرا

وحذرهم من وعود الإنكليز المعسولة التى سرعان ما ينقضونها فقال :

ولا تقبلوا منهم بقول مموه ... فما عاقل يرجى بأعدائه خيرا

وحثهم على الثورة لأنها الحق الواضح الصريح فإذا لم ينتصروا فيها . فسوف يتوجون بالفخر والعز ولن يلومهم أو يتهمهم متهم بأنهم تقاعسوا وذلوا فقال :

---

( ٦ ) وقد شنق الإنكليز أحد عشر شخصا فى النجف ونفوا جماعة كبيرة من أحرار النجف وحكم على آخرين بالسجن ( العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ) ٢٦ - ٣٨ ج ١ . توجد تفاصيل عن الحادث والأسماء بالتفصيل ولاحظ ص ١٠٢ .

( ٧ ) العراق فى دورى الاحتلا والانتداب ص ٧٥ و٧٦ .

( ٨ ) العراق فى دورى الاحتلال وانتداب ص ١٠٤ .

( ٩ ) الحقائق الناصعة ص ١٧٤ و ١٧٥ وتاريخ القضية العراقية ص ٩ وبشأن الاجتماع الذى عقد بدار الإمام الشيرازى ص ١٤٢ وبشأن الاجتماع الذى عقد فى دار حمدى بابان والاجتماع الذى عقد فى دار رفعة الجادرجى ص ١٦٠ والاجتماع الذى عقد فى بيت السيد يوسف السويدى ص ١٧٧ .

ومن مات دون الحق والحق واضح إذا لم ينل فخراً فقد ربح العذر[١٠]

وما إن أتم الخطيب خطابه وشعره حتى قام الشيخ محمد العبطان وسل سيفه وقال : إننا قطعنا على أنفسنا عهداً إما الموت أو الاستقلال التام[١١] كان هذا الاجتماع وغيره نتيجة محتومة لعدم تقبل سلطات الاستعمار الحلول السلمية ، وإنما أرادت إظهار سطوتها معتقدة أنها قادرة على القضاء على كل حركة يقوم بها العراق فى سبيل استقلاله ، وقد فات القائمين أن حرية الشعوب لن يقوى على مقاومتها حائل وإلا لاتعظ العراقيون بقوة الإنكليز وارتدوا خوفاً مما صنعوه فى النجف[١٢] أو بغداد ولخاف العراقيون من بطشهم وجبروتهم . إن الحرية والاستقلال لن يقف أمامهما الموت فهما أقوى من الموت ولئن تأخر الشعب فقد كانت قلوبهم تغلى كالمراجل حقداً وغدت كل ثورة ضد الإنكليز جهاداً ومن العار على العربى أن يقعد .

ومن القصائد التى ألقيت فى التحريض على الثورة قصيدة حسن الجواهرى وفيها يقول :

من العار أن تبقى على الضيم مقعدا فلا العيش إلا أن تكون ممجدا
مواطنك الغر التى بك شيدت تناجيك فاسعفها خلاصاً من العدى
أراقت دماء من نفوس بريئة لتبنى طريقاً للحياة ممهدا[١٣]

ومع كل هذه المقدمات فلم تكن تخرج الفكرة إلى حيز العمل ، فما فكر العراقيون فى ثورة مسلحة إجماعية ضد الحكم البريطانى ، لأنهم كانوا يأملون بعض الإصلاح ودليلنا تلك المفاوضات السلمية التى دارت بين العراقيين والسلطات العسكرية التى أظهر فيها العراقيون من طيبة القلب وحب السلم والمحافظة على النظام ما يدين المستعمرين بأنهم البادئون بالعدوان ، فقد وصموا الأحرار بأنهم مفسدون والأبرياء بأنهم مجرمون[١٤] ولا أدل على حب الشعب للسلام والرفق من أبيات الشعر العامى التى منها :

---

(١٠) مخطوطة فى مكتبتى الخاصة .

(١١) الحقائق الناصعة ص ١٧٥ .

(١٢) حوصرت النجف أربعين يوماً بعد قتل حاكمها ولا فك الحصار شنق المستعمرون أحد عشر رجلاً ونفى مائة وسبعة رجال .

(١٣) رسالة مخطوطة من قبل الشاعر

(١٤) يلاحظ كتاب شيخ الشريعة الأصفهانى فى ( الحقائق الناصعة ) ص ١٥٧ وما بعدها وفى تاريخ القضية العراقية ص ١٩٦ .

( ردنه الـرفق وياه ما صـــح بيدنه )[١٥]

أما السبب المباشر للثورة العراقية فهو سجن الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشاير الظوالم وتعنيف الحاكم السياسى له وتوبيخه ، فجاءت جماعة من عشيرته وأخرجته عنوة من السجن ، وبعد ذلك حاصرت العشيرة الحامية البريطانية وقطعت طريق القطار[١٦] وأخذت الثورة تنتشر بين القبائل . وقد ساهم بعض الضباط العراقيين فى الثورة . وحدثت عدة معارك أشهرها معركة ( الرارنجية ) التى انتصر العراقيون فيها على الجيش المحتل ، فهز هذا الانتصار العواطف وحسب الثائرون أنهم قادرون على اكتساح المستعمر من البلاد ، فقد نظموا أنفسهم تنظيماً حديثاً وألفوا المجالس الإدارية لتسير أمور البلاد ، ووزعوا حكاماً على بعض المناطق وقاموا بأمور أخرى دلت على نضج قادة الثورة . وأهم ميادين الثورة كانت منطقة الفرات ، فعندما أخرج الشيخ شعلان انتشرت الثورة فى الجنوب كما انتشرت الدعوة إلى الجهاد التى أذاعها رجال الدين[١٧] وقد سجل محمد مهدى الجواهرى أعمال الثورة فى الفرات بقوله :

وللفـرات نهضـــــة مشهـــودة لا تجحـــد
هاجـوا بهـا لا لعب فيمـا أتـوا ولا دد
غطـــارف مـــن الظبـا صرح لهـم ممـــرد
وفتيـــة عـــلى المنـى أو المنـــايا احتشدوا

ويتطرق إلى واقعة الرميثة ( العوجة ) التى تركت الثناء المخلد فى صفحة التاريخ ، وقد ذكر الجواهرى خسارة الإنكليز ومنها خسارة قطارين مسلحين . . . أرسلا للقضاء على الثورة فقال :

وللقطـــار وقعـــة منهـــا تفـــر الكبـد
ما تركـوا حتى الحـديد سلسلوا وقيـــــدوا[١٨]

---

(١٥) أى أردنا منه الرفق ولكن لم نتمكن من الفوز به ( العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ) ص ٦٣ الحاشية . لاحظ فى الوقائع الحقيقية ص ١٣٩ . رأى الأستاذ البازركان وص ٦٩ وفى تاريخ القضية العراقية رأى السيد محمد صدر الدين .

(١٦) تأريخ القضية العراقية ص ٢٠٠ وما بعدها .

(١٧) الحقائق الناصعة ص ١٩٢ وما بعدها .

(١٨) ديوان الجواهرى طبعة ١٩٢٨ ص ٩٧.

وقد خسر البريطانيون بارجة كانت قادمة لمحاصرة الكوفة ، وبعد أن ألحقت أضراراً بالغة بالثوار وبالأهلين ضربها الثوار بمدفع غنموه من القوات الإنكليزية فى معركة الرارنجية فقال الجواهرى يسجل هذا الحادث[١٩] :

وإن أنسَ لا أنْسَ الفـــرات وموقفاً ... به مثّلت ظلم النفوس الفظائـــع
غـــداة تجلى المـــوت فى غير زيه ... وليس كـــراء فى التهيب سامع
بباخـــرة فيهـــا الحـــديد معاقل ... تقيهـــا وأشباح المنـــايا دوارع
تشير وألحاظ البروق شواخص ... إليهـــا وأمواج البحـــار توابع

ويصف جنوحها بعد أن ضربها الثائرون بقوله :

هنالك لو شاهدتها حين نكست ... كما خر يهوى للعبـــادة راكـــع
هوت فهـــوى حس وظلم تمازجا ... بها وانطوى مرأى مروع ورائع[٢٠]

والملاحظ أن مدينة بغداد كانت قد تزعمت حركة الثورة بادئ الأمر وقادت الشعب نحوها وقد أرسلوا ضباطاً لتدريب الأفراد وحاولوا مساعدتها مالياً[٢١] لكنها لم تشهر السلاح أو تَقُم بعمل حربى لأنها كانت تحت السيطرة البريطانية المباشرة وقد قضت السلطات على كل من اشتغل فى الثورة ، فقد نفت بعضهم وأعدمت آخرين[٢٢] وقد انتشرت الثورة فى بعض مناطق أخرى من العراق كالدليم وديالى . وبالرغم من أن هناك بعض معارك حربية جرت فى غير الرميثة إلا أن الحظ لم يساعدنى فى العثور على شعر غير قصيدة مصطفى جواد ويصف فيها جانباً من ثورة الخالص فى لواء ديالى يقول فيها :

ثبتنـــا فى مواقف محرجـــات ... ولاقينـــا مـــدافع وانفجـــارا
وذدنـــا عن حمى وطـــن مباح ... ورمنـــا فى معاركنا انتصـــــارا

وفى القصيدة يصف الأعمال التى قامت بها سلطات الاحتلال ، فبعد أن استولت على الخالص أسروا جميع القادرين على حمل السلاح وكتفوهم وقتلوهم سراً . أربعة أربعة .

---

(١٩) الوقائع الحقيقية ص ١٥١ والحقائق الناصعة ص ٢٣٨.

(٢٠) الديوان ص ٥٤.

(٢١) الوقائع الحقيقية ص ٢١٨ والحقائق الناصعة الصفحات ٥٨٧ و ٤٠٤ و ٤٠٥.

(٢٢) الحقائق الناصعة ص ١٣٦ – ١٣٧ وفى غمرة النضال ص ٢٥٩ وص ٢٦٠ والعراق فى دورى الاحتلال والانتداب ص ٩٤ و ٩٥ ج ١ .

ثم ألقوا بهم فى الطرق والمخارج والمداخل ثم أنتنت جثثهم وليس هناك من يدفنها حتى تراجع الهاربون بعد العفو العام فدفنوهم فقال :

شباب أعرسوا بالمـــوت مـــردا وكان رصاص قاتلهم نثـــــارا
وتابعهـــم كهـــول القـــوم زفًّا فوا حزناً لمن تركوا الديـــارا (٢٣)

والأستاذ مصطفى جواد كان شاهد عيان لهذه الحادثة ، ولم يقتل لأنه كان صغيراً . وقد حدثنى المرحوم والدى الكثير عن الضحايا فى المعارك الإرهابية التى اقترفها الاستعمار . وقد كانت لوعة النساء والرجال مستعرة لسنين طويلة لم يقم بعدها للخالص قائمة فما ثارت وما انتفضت بعدها .

وعلى هذه الفواجع يقف شاعر عراقى ساخراً منها ومن الثائرين فيقول شامتاً :

لقد تشتت من خوف ومن نـــدم جيش حوالى ديالى كان محتشدا
ما كنت أرجو على علمى بنزعتها أن يبدو الشر من أبنائهـــا فبـــدا
احـزم بناس رأوا فى أرضهم فتناً فلم يكونوا لمـــن قاموا به عضـــدا (٢٤)

---

(٢٣) الشعور المنسجم ديوان الأستاذ مصطفى جواد المخطوط ويلاحظ بشأن الثورة فى ديالى ، تأريخ القضية العراقية ص ٢٣٤ .

(٢٤) ديوان الزهاوى ص ١١٠ .

## ٤

# أثر الثورة

فشلت الثورة ، فلم يقدر العراقيون على مقاومة قوى الاستعمار الفتاكة ، وقد كان رد الفعل عنيفاً فى نفوس الذين تفاءلوا كثيراً ، وأثارت نتائج الثورة الألم والحسرة فى القلوب . فقد ضربت بعض المدن والقرى بالطائرات ، وهاجر بعضهم ومعهم المواشى والأطفال فراراً من قصف المدفعية الثقيلة وخوفاً من سطوة المستعمرين والتجأ بعضهم إلى الكويت ، ناجين من الإيذاء ، وقد تركت الهجرة بعض البقاع مهجورة قفراً ، فقال سعد صالح يصف هذه البقاع ولم تركها أصحابها :

سئمت العيش فى وطـــن يضـــام يـــذل يضطهـــد
محتـــه يد القضـــاء فراح لا روح ولا جســـــد
عفت تلك الربـــوع فـــلا قديمـــات ولا جـــدد
ريـــاض صوّحت ومهـــا ذعـــرن ومجمـــع بـــدد [1]

وقد وقف محمد مهدى الجواهرى متعجباً من إيذاء الإنكليز للشعب وهم مسيحيون والدين المسيحى دين يأمر بالمحبة والسلام ، وهؤلاء المسيحيون يسفكون الدماء البريئة ويخالفون أوامر دينهم :

على أى عـذر تحملون وقد نهت قوانينكم عن فعلكم والشرائع
على رغم روح الطهر عيسى أزلتم بـــراء دمـــاء هوّنتهـــا الفظائع

وقد وصف الجواهرى الديار الخالية التى تركها أهلها فراراً فقال :

وقد راعنى حول الفـــرات منازل تخلّين عن ألافهـــا ومرابـــع
دوائـــر من بعد الأنيس توحشت وكل مقام بعد أهليـــه ضـــائع

وقد كان الجواهرى يطفح بالأمل والبشر والإيمان بالرغم من فشل الثورة فى أهدافها

(١) سعد صالح ص ١٣٦ بغداد ١٩٤٩.

لأنها برهنت للعالم على أن العربى الذى فى قلبه هذا العزم والثبات فى سبيل حريته لن يموت ولن يقدر عليه أجنبى أو يكبح أمنيته فى سبيل عروبته فقال :

فإن ذهبت طى الرياح جهودنا فعرضك يا أبناء يعرب ناصع
ثبت وحسب المرء فخراً ثباته ( كما ثبتت فى الراحتين الأصابع[٢] )

وعلى عكس الجواهرى كان سعد صالح قد آلمه خسارة الثورة وكان رد الفعل عنيفاً على نفسه فسيطرت على روحه ظلال التشاؤم والألم ، فقد كان يأمل الفوز والنصر . ولم يتأخر الزهاوى عن رثاء القتلى ووصف ما حاق بالبيوت من الألم ، وبأسر القتلى من أحزان بدماء الشباب التى أراقها المستعمر الغريب فقال :

ماذا بضاحية الرميثة من غطارفة جحاجح
ولئن أقيمت فى البيوت على كرامتها المناوح
ولأية ندبت من الليل الحمامات الصوادح

ووصف ما حاق بالقوم فى أثر شهداء الثورة الأبرار فقال :

ولقد أصاب القوم ما أبكى العيون من الفوادح
إذ هاجموا يوم الوغى غلب المدافع بالصفائح

ورثا الشباب الحر بقوله :

هفى على الغر الشبا ب مجندلين على الصحاصح
ولقد تغوّر جرحهم بين الترائب والجوانح[٣]

إن فشل الثورة ليس معناه موت أمة وإنما هو عود إلى الكفاح وإلى النضال حتى تتحقق مطالبها ، لذلك فالشعراء أخذوا يضمدون جروح الألم ويملأون المستقبل بالابتسامة والأمل ، ومادامت الأمة تبسم للرجاء وتنظر إلى المستقبل نظرة التفاؤل والنصر فسوف يكون لها ما تريد ولن يقف أمامها مستعمر أو يحول دون وعيها وإدراكها وقوتها حائل ، فقد يتمكن المستعمر أن يؤخر عليها آمالها ولكنه هيهات له أن يحرمها منه . فقد قال الجواهرى :

صبراً وما طاب لكم مرعاكم والمورد

---

( ٢ ) ديوان الجواهرى ص ٥٥ و٥٦ .

( ٣ ) ديوان الزهاوى ص ١٧٦ ونشرت فى الأدب الجديد لمحمد جمال الهاشمى

صبراً وما عودتموا من قبل أن تضطهدوا
إن رفعت رواقها الحرب فأنتم عمد
وأنتم إذا الوغى أعوزها من يوقد
نيران حرب يصطلى الأدنى بها والأبعد (٤)

أما أولئك الذين أخذوا يلومون القائمين بالثورة لأنهم لم يكسبوا عاجلا أو أنهم خسروا آجلا ، فهم أناس قصيرو النظر لأن الثورة سوف تبقى مؤججة فى النفوس وسوف يحمد للقائمين بها أعمالهم ، ولن يبخل التاريخ بتسجيل ما قدموه للشعب من تضحيات ، فقد قال أبو المحاسن فى سجنه بعد الثورة :

إن يذم اليوم قوم غرسنا فلنا من بعد حمد المجتنى(٥)

ولم يقر المواطنون بالهزيمة المادية التى لحقتهم فى المعركة وواصلوا العمل من أجل الثورة ومكافحة القوات المحتلة . فقال خيرى الهنداوى :

ويك لا أرتضى الحياة بذل قم فمزّق إهابها تمزيقا
وأدر لى فى الرافدين محيا الـ حرب وكسر الإبريقا (٦)
إن موتاً فى ساعة العز لموت أجدر به أن يروقا
يا لقومى لقد دهتها الدواهى وهى تأبى من نومها أن تفيقا

وقد واصل خيرى الهنداوى الدعوة للثورة بعد عودته من منفاه فى هنجام لأنه لم يؤمن بفشل الثورة فقال :

لست من هاشم إذا لم أقدها شزباً توقد الوغى إيقادا

ومنها يقول :

قم فجند من عزمك الأجنادا واركب العزم واقتعده جودا (٧)

أما الذين لم يكونوا راغبين فى الثورة فلم أجد غير شاعرين هما على الشرقى وجميل صدقى

---

(٤) الديوان ص ١٠١.
(٥) الأدب العصرى جـ ٢ ص ١٣٧ .
(٦) الأدب العصرى جـ ١ ص ١٦٨ . وديوانه المخطوط عندى نسخة منه .
(٧) ديوانه المخطوط .

الزهاوى ، وقد كتبت للشيخ الشرقى رسالة أسأله فيها لِمَ لم يكن من الداعين إلى الثورة العراقية وهى ثورة ضد المستعمر ؟ ! فأجاب : ( إن الثورة مقدسة وأهدافها سامية وأنا من خدامها والعاملين لها من يومى حتى الساعة [٨] وإن الشعب العربى كان ولا يزال فى أشد الحاجة لها . . وإنى والصفوة من أصحابى كنا نريدها ثورة قومية شاملة ولا نريدها إقليمية إذ فى الإقليمية مضيعة للهدف وانتثار للقلادة . . ) وبذلك يتكشف لى رأى جديد من وجود جماعة أرادت الثورة العراقية أن تتأنى حتى يقيم العرب ثورة عامة ينضمون إليها جميعاً ولعلهم نصحوا القائمين بالثورة بالتروى وعدم الإسراع ، ولما فشلت الثورة ورأى الشرقى الخسارة التى لحقتهم قال :

يا ثـــورة أعقبتهـــا ندامـــــة الثـــوار
كم فى سرارى عتب لـــو تسمعون سرارى
هذا اختيـــارى ولـــكن بالجبر أصـــل اختيارى
تـــدارك الله شعبـــاً يهـــمّ بالانتحـــار [٩]

ولم يكن الشاعر قد حدد رأيه عندما نشر هذه الأبيات ولكنه عاد فحدده عندما نشر ديوانه فكانت قصيدة عامرة قال فيها :

كنا نحـــاول أمـــراً يفـــوق كل اعتبـــار
أهـــــدافه تتـــغنى بوحـــــدة الأقطـــار
نريـــد تشييد صـــرح من فوق تلك السوار [١٠]

أما السيف الحاد الذى كان مسلطاً على الثورة فقد كان الزهاوى ، فقد رأيناه يمتدح الثوار ويرثى الشهداء يرفعهم عالياً فى شعره ، ولكن ما إن تطأ رجل برسى كوكس أرض العراق حتى نسى كل شىء وإذا به يلقى كلمة مسهبة يصور بها حال العراق بالرجل العليل الذى برح به السقام من الثورة التى أصبحت فتناً واضطراباً ويرجو القادم المستعمر أن يسارع فى إيجاد العلاج اللازم لهذا المريض بأن يخمد الثورة ويقطع دابر الفساد [١١] ومع أن الثورة

---

(٨) كانت الرسالة سنة ١٩٥٧.
(٩) جريدة العراق العدد ١٨٥٣ / ٧ / الثالث من حزيران سنة ١٩٢٦.
(١٠) ديوان الشرقى ص ١٧١.
(١١) يلاحظ نص الخطاب فى جريدة العراق العدد ١١٢ / ١ / ١٢ ت ١ سنة ١٩٢٠.

لم تكن قد خمدت حتى ذلك اليوم فإنه تجاهل شعور الرأى العام وتحداه فقال :

عـد للعراق وأصلح منه ما فسـدا وأثبت العدل وامنح أهله الرشدا
الشعب فيك عليك اليـوم معتمد فما يكـون كمـا قد كان معتمدا

ثم هاجم زعماء الثورة ووصفهم بأنهم بغاة الشر أرادوا أن يفسدوا فى الأرض ولن يخمد شرهم ويقضى عليهم غير الحاكم العام فقال :

ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا إثارة الشر فيه وهـو ما قصدا
أما وقد جئت مصحوباً بمقـدرة فلا أبالى أقـام الشر أم قعـدا

تختلف نظرة الناس إلى الأعمال وخاصة تلك التى لا يكتب لها النجاح ، ولكن هنالك الأعمال الوطنية التى يؤمن بحقها الأحرار الذين يواصلون العمل من أجلها ، فستبقى غايتهم ومطلبهم وقد احتضن قادة الرأى والشعراء فكرة الاحتفال بذكرى الثورة كيلا يتسرب الوهن إلى النفوس ولاتخاذ الذكرى سبيلا لمواصلة الكفاح . . وليست حياة الشعوب المغلوبة على أمرها إلا كفاح وثورة ومتى هدأت واستكانت إلى الهدوء والسكينة فقد غلبت على أمرها . . وقد تخلف عن ركب الثورة جماعة استفادوا ، فبعضهم فاز بمنصب وآخر فاز بمغنم ، ولكن كل هذه المغانم كانت فى نظر الوطنيين مغانم محسوبة على سمعة الشخص . وقد رأى أبو المحاسن الخيانة التى كانت فائدة لبعض هؤلاء ففازوا بالتقرب من المستعمر وتركوا إخوانهم فى المحن والآلام فلسعهم بقوله :

من رجال نقضـوا ميثـاقهم وجـزوا بالسوء فعل الحسن
أظهروا ما أضمـروا من حقدهم وبـدت بغضـاؤهم بالألسن

ويوجز رأيه بالنتيجة التى آلت إليها الثورة بقوله :

ثـورة أصبح من آثارهـا حظـوة الخـائن والمفتتن
معشر فى نعم قد أصبحـوا من مساعى معشر فى محـن(١٢)

وقد امتاز محمد صالح بحر العلوم – برأى طريف فى شعره فهو لم يقل إن القبائل قد قامت بالثورة ولم يقل إن الشعب العراق قد ثار ، بل لم يتطرق إلى القادة والزعماء إنما خص الفلاحين وحدهم ، فهم الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وبذلوا الغالى والرخيص ، ولكن

(١٢) الأدب العصرى جـ ٢ ص ١٣٧.

لم يغنموا من وراء ذلك شيئاً وقد اتفق مع أبو المحاسن فى أن نتائج الثورة ذهبت لغير القائمين بالثورة فقال بحر العلوم :

قف بالرميثة وأنشد الفلاحا ... هل نال من ماضى الجهود فلاحا ؟
أدمت نواظره النوائب واصطلت ... أحشاؤه تتناوب الأتراحا
قد كبلته يد الصروف وأطلقت ... لذوى المطامع فى البلاد سراحا
يتنعمون بكده ووجوههم ... لولا عنايته لزال وراحا[١٣]

ويتطرق فى قصيدة أخرى إلى حالة العراق العامة وعما أصابه من تأخر وانحطاط . . ودعا الجموع إلى الثورة وبغير الثورة لن يزول الانتداب الذى ينفذ سياسته الخائنون فقال :

سياسة شرعها الانتداب ... فقام فى تنفيذها الخائنون[١٤]

وبحر العلوم من المؤمنين إيماناً عميقاً بالثورة والآملين فى ثورة أخرى تصلح أمور العراق العامة وتقمع جشع الأدنياء الذين يعبثون بمقدرات الشعب فقال :

ولم تزل أسيافنا باقية ... يقطر منها من نجيع الدماء
تريد منا وثبة ثانية ... تقمع فيها جشع الأدنياء[١٥]

وقد كان خيرى الهنداوى من أولئك المؤمنين بضرورة مواصلة الثورة لأن الثورة لم تحصل على أهدافها وإنما بدأ الصراع بين الشعب وبين المستعمر القوى الذى لا يحترم إلا القوى الثائر فعلى الشعب المصابرة والثورة والكفاح والنضال حتى يستكمل سيادته وحريته لأن الحياة الحرة لا تكون إلا للمناضلين فقال :

لا يستحق العيش قوم ... لا يريدون الجلادا
فصناعة الموت الزؤام ... صناعة تمحو الفسادا
وسوى الأسنة والمواضى ... البيض لا تشفى الفؤادا
أولى الأنام بحرمة ... فى الرأى أكثرهم جلادا[١٦]
وأخصهم بتجلة ... من كان أكثرهم جهادا

(١٣) العواطف ٨٩.
(١٤) العواطف ٩٩.
(١٥) العواطف ص ١٠٠.
(١٦) ديوان الهنداوى .

وقد كان الشعراء يعدون أذهان الناس إلى ثورة أخرى كي يحرروا أنفسهم من الاستعمار ، فبالرغم من مرور مدة طويلة على الثورة فقد بقى العراقيون يرسفون تحت أقدام الاستعمار تارة باسم الانتداب وطوراً باسم الوصاية أو الحماية ، لذلك لم يبق المستعمر أمام الشعب غير الثورة لإخراجه من أرضه ، فإن ما أسماه بالحقوق أو محاولة تخدير الشعب بأسماء مختلفة من الحكومات ما كانت تخفى عليهم . فقال الجواهرى :

إن كان طال هـــذا الأمـــد فبعـــد ذا اليـــوم غـــد
ما آن أن تجلـــوا القـــذى منهـــا العيـــون الرمـــد
أسيافـــكم مرهفـــة وعزمـــكم متقـــد
هبّوا كفتـــكم عبـــرة أخبـــار من قد رقـــدوا
هبـــوا فعـــن عرينـــه كيف ينـــام الأســـد

ويأمل ثورة عربية لا يخمد أوارها حتى تحقق أهدافها فقال :

وثـــورة بل جمـــرة ليعـــرب لا تخمـــد
أججهـــا آبـــاؤهم والحـــر لا يستعبـــد[١٧]

وإن كان الشعب فقيراً لا يملك القوى التى تذود عنه ولا الجيوش التى تناهض الخصم العنيد وتقاتل جنوده المدربة خير تدريب وبأسلحته الحديثة . فقد كان للشعب قلوب تنبض بالإيمان ونفوس لا تقدر عليها الجيوش الجرارة ولا الأسلحة الحديثة .

(١٧) ديوان الجواهرى ص ٩٧ . سنة ١٩٢٨

# كلمة أخيرة عن الثورة

وقف المؤرخون من الثورة موقفين متغايرين فقد رآها بعضهم مخيبة للآمال التى ثاروا من أجلها[١٨] ورآها آخرون ناجحة أدت رسالتها بإنشاء حكومة وطنية ذات سيادة وأنها أنقذت العراق من أن يكون تابعاً مستعمراً للهند .

وقد احتار المؤرخون مرة أخرى فى النتائج التى وصلت إليها الثورة وفى الأسباب التى أدت إلى فشلها . ولعل سبب هذه الحيرة وهذا الموقف هو حكمهم الذى جاء معتمداً على الظواهر العامة والنتائج الآتية التى أحاطت بالثورة . وفاتهم الإحاطة التامة بأمور العراق الاجتماعية والاقتصادية ، وأثرها فى النتائج السياسية وأثر العوامل النفسية فى اتجاهات كل ثورة .

فعزى فشل الثورة إلى قوة الجيش المحتل وسيطرته التامة ، وضعف القوات العسكرية الثائرة وقلة عتادها وعدتها دون ذكر للعوامل النفسية العميقة الأثر ، فعندما احتل الإنكليز العراق لم يكن العراق بلداً بدائيًّا ليست له مثله وتقاليده التى تربط المجتمع بالفرد ، إنما العراق بلد شعت منه الحضارة والمدنية وتركت آثارها واضحة فى نفسية الفرد وشخصيته وتفكيره وتركت حدوداً غير بارزة أو واضحة المعالم فيه ، لأن الطبيعة العربية البدوية كانت تمد العراق دائماً بآثارها ومثلها . ويمكننا لسهولة البحث أن نصنف المجتمع إلى فئات :

١ – الفئة الأولى وتضم رجال الدين وشيوخ العشائر وبعض أبناء الأسر القديمة وبعض كبار الموظفين من العراقيين .

٢ – والفئة الثانية وتضم المتعلمين وأكثرهم من الموظفين والضباط .

٣ – الفلاحون وصغار الموظفين وسكان المدن بصورة عامة من غير الفئتين المذكورتين .

وكانت الفئة الأولى والثانية لهما مكانتهما الدينية والزمنية ، وسطوتهما ، فشيوخ العشائر متضامنون مع عشائرهم وتثور معهم العشائر وكثيراً ما تصفح الدولة عنهم لعدم قدرتها وسيطرتها . ورجال الدين مرهوبو الجانب للمكانة العلمية والدينية . وقد كانت الفئة الثانية قد أمنت العوز والفاقة بحكم الرواتب والوظائف . وقد كان الدين الإسلامى ومثل المجتمع

(١٨) الحقائق الناصعة الصفحات ٥٠٣ و٥١٥ و٤٧٣

العامة محترمة لا يجرؤ فرد على الخروج عليها . ثم فتح الإنكليز العراق فاضطربت هذه المثل وتخلخل المجتمع ، فاضطربت الحياة العامة ، فقد دخل الإنكليز العراق بالقوة وكانوا يفرضون الاحتلال العسكرى بقوة السلاح والإرهاب ولم يتسامحوا مع أحد مهما كبرت منزلته أن يقف فى وجههم وأن يحد من سلطانهم وسطوتهم . . سواء كان هذا الفرد شيخ عشيرة أو رجل دين أو ابن أسرة عريقة . . بل السلطة كانت تمعن فى إذلال الذين حاربوها . . ولم يكن الشيوخ ينسون هدر كرامتهم التى تعتبر جزءاً من كرامة العشيرة تصونها العشيرة وتذود عنها . . فلم تكن مشيخة رئيس القبيلة إقطاعية بحتة وشيخ القبيلة يجب أن يكون من أبنائها ومن خيرة الأبناء[١٩] وقد رأى رجال الدين ما حاق بالبلد وقد استعمره الأجنبى البعيد عن الشعب فى الدين واللغة ولا يمت له بصلة قريبة أو بعيدة فهالهم الأمر . وقد فقد الموظفون العون الاقتصادى والمكانة التى كانوا يرفلون بها . . ولكنهم صبروا وصابروا بعد أن بذل المحتل وحلفاؤه الوعود الخلابة فى سبيل تحرير هذا الوطن . . غير أن الأمور لم تسوَّ على الوضع الذى كان يأمله الوطنيون فكانت الثورة . . فاندفع أبناء الشعب لتأييدها متأثرين إما بالفتاوى الدينية أو بمناصرة شيخ القبيلة أو مدفوعين بالخطب والقصائد ولكن سرعان ما ذهب الحماس . .

وقد كان العامل الاقتصادى فعالا ، فالعراق كان يمر بأزمة اقتصادية ، فقد تعطلت الصنـــاعة والتجارة والزراعة ، مذ جند العثمانيون القادرين على حمل السلاح ما بين عشرين سنة حتى الأربعين ، فأقفرت القرى والمدن من الرجال[٢٠] وقبلت البدل النقدى الذى دفع الناس للاقتراض بفائدة بلغت ٦٠ ٪ ثم صدرت العملة الورقية التى زادت التدهور سوءاً .

وكان احتلال الإنكليز سبباً لانشغال الشعب بالأمور السياسية عن التجارة والزراعة[٢١] ولما عاد الضباط والموظفون من سوريا والحجاز وجدوا أنفسهم بلا عون مالى يساعدهم ،

---

(١٩) تطور الأمر بعد ذلك لدى بعض رؤساء القبائل وتنافسوا فى حيازة أكبر رقعة من الأرض . . وقد أراد بعضهم أن يجعل له حقاً فى الدستور . . راجع مذكرات المجلس التأسيسى ص ٨٩٩ – ٩٠٨ والقوى المؤثرة فى الدساتير – للدكتور طلعة الشيبانى ص ٢٠ بغداد ١٩٥٤.

(٢٠) كثر عدد الهاربين من الخدمة حتى أصدر أنور باشا أمراً بإعدام الهاربين المقبوض عليهم وإرسال النصف الآخر إلى ساحة القتال .

(٢١) تاريخ مقدرات العراق السياسية لأمين العمرى جـ١ ص ١٤١ بغداد سنة ١٩٢٥ .

فقد شغل الهنود والإنكليز من الوظائف أحسنها وأكثرها[٢٢] فاتفقت مصالحهم مع مصالح الشعب وكونوا فئة ضد المحتل لاستعادة الضمان الاقتصادى وما تأخروا فى مساندة الثورة . وبعودة العون المادى بعثرت بعض القوى وكان سبباً فى فشل الثورة ، انتبه إليه أحد المشتركين فى الثورة . فقال : ( ولو أن جميع الساسة والمعنيين بالقضايا العامة عندنا ارتفعوا قليلا عما هم عليه من انكباب على زخرف الحياة ومتاعها وخففوا قليلا من أغراضهم عن الإلحاح فى المطالبة بحقوق البلاد لما رأينا الحالة السيئة التى تنحط الآن ولاستطاعوا تكملة رسالة الثورة ) [٢٣] وتجلى هذا الخصام فى سبيل المصالح بين الأحزاب ، بينما كانت الثورة مستعرة الأتون . . وأفقد الخصام توحيد القيادة بين الضباط ورؤساء القبائل[٢٤] ، وحتى بين شيوخ العشائر أنفسهم فى الجبهات المتعددة ، فأهل المشخاب كانوا لا يعلمون أى شىء عن ثورة تلعفر ، وهكذا بالنسبة للمحمودية وقبائل زوبع [٢٥] وكانت بعثرة القوى – برغم وجود الإخلاص العميق – عاملا فى فشل الثورة . .

وقد كان العامل النفسى مؤثراً فى الثورة . . فالعراق عاطفى سريع التهيج يندفع وراء عواطفه ، تؤثر فيه الكلمة الطيبة والمثيرة ، فيندفع معها وهو فردى يحب أن يسود ولا يقر بحكم فرد . . ولست من علماء النفس لأحلل هذا وإنما أسرد ما أعرفه بتجاربى المحدودة . . ومن عرف هذه النفسية يمكنه أن يستغلها خير استغلال . . وقد قامت الثورة على عامل الحماس الذى اندفع بالفتاوى والخطب والشعر ، ولكن هذا الحماس لم يدم ، إذ لم تكن جذوره عميقة ، ولما استقر بعد ذلك واصل الشعب الكفاح فى سبيل حريته واستقلاله .

أنا من المؤمنين بأن الثورة كانت ثورة فى سبيل الحرية والاستقلال وبسطت فيها رأيى فإن لم أوفق فقد فاتنى أمور عسى أن يسجلها الباحثون ، خاصة والعراق لا يزال بكراً يحب أن يدرس اجتماعياً لتطوير مجتمعه وتقدمه . .

إن فشل الثورة كان سبباً فى خلاف دب بين العراقيين[٢٦] فمنهم من بقى يتفاخر بها وهم من ذوى الإيمان العميق ، ومنهم من نسيها وما حفل بها . والاختلاف فى المثل العليا

---

(٢٢) Bell, G. Review of The Civil Adminstration of Mesopotmia (London 1920) P. 122.

(٢٣) الوقائع الحقيقية ص ٢٣٨ .

(٢٤) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٥ ويراجع بشأن معالجة مشكلة ( الأفندية ) الذين كانوا ضباطاً وموظفين فى الدولة العثمانية وسخطوا – كتاب هيلدن الصفحات ٢٤ و٢٥ و٢٦ .

(٢٥) الوقائع الحقيقية ص ٢٣٨ .

(٢٦) لاحظ حديث شعلان أبو الجون على سبيل المثال ص ٤١ فى محاضرات عن العراق .

موجود فى جميع المجتمعات ويبرز واضحاً فى فشل أية ثورة والانتصار عليها ، والويل للمغلوب من الغالب . . وتعدد الآراء فى أمر يعكس لك جوانب المجتمع نفسه ، فقد بدا التناقض واضحاً وطغى على الأسلوب والمعنى وغطى على اللفظ والكلمة . . لأن الشعر عامة كان حطباً جزلاً لإلهاب نيران الثورة ، فبذل الشاعر كل قدرته فى هذا النظم العجلان ليهز المشاعر ويثير الخواطر ضد المحتل الذى هيمن على مقدرات الوطن ويذكر الناس بالذل والهوان[٢٧] . . وبالرغم من أن كثرة شعر الثورة ذهب واندثر إلا أن رائحته الذكية العطرة تدفعنا دائماً نحو حرب المستعمر والثورة فى وجه الظلم والطغيان .

(٢٧) ذكر ذلك الدكتور البصير فى مقدمة ديوانه البركان الذى طبع أثناء طبعى لهذا الكتاب .

٥

# عرش العراق

كان من نتائج الثورة التعجيل بالتفكير فى إنشاء دولة وطنية واستبعاد جعل العراق مستعمراً تابعاً للهند . وبذلك أثبت الشعب بأنه قادر على فرض رغبته على الإنكليز برغم ما لديهم من عدة وعدد . . فالخسائر التى منى بها الاستعمار كان صداها يتردد فى مجلس العموم البريطانى فثار على الحكومة ، ورددت ثورته الصحف وثار جدل عنيف حول موقف الإنكليز فى العراق ، حتى طالب بعض ساستهم بالانسحاب من العراق كله ، وطالب بعضهم بالاحتفاظ بالبصرة ، اقتصاداً فى الأرواح والنفقات . . وقد اضطر لويد جورج للتصريح فى المجلس بأن العراقيين يجب أن يحكموا أنفسهم ويشكلوا حكومة عربية ، تقدم لها بريطانيا المساعدة فى إدارة البلاد وحفظ الأمن فى ربوعها . وبذلك يرضى العراقيين ، ويرضى المجلس ويقتصد فى النفقات ، ثم يرضى فريقاً من الإنكليز الذين يرون من مصلحة بريطانيا تحقيق بعض وعودها للعرب . وكانت أولى هذه الخطوات إرسال برقية تتضمن الدعوة إلى إنشاء دولة أوكل أمر تنفيذها إلى السر برسى كوكس ، وطلب إليه إنشاء وزارة موقتة برياسة رئيس عربى وانتخاب مجلس يمثل السكان ، وقد شكلت الحكومة المؤقتة برياسة السيد عبد الرحمن الكيلانى فواجه العراق مشكلة لم يعهدها من قبل فى حياته السياسية ، فالوزارة عراقية المظهر ولكن مع كل وزير مستشار فكان الحكم مزدوجاً شاذاً ، فبالرغم من أن كوكس هو الذى اختار أعضاء الوزارة وأنه هو الرئيس الأعلى ، فقد وضع معهم المستشارين لإدارة دفة الحكم ، وقد كانت الوزارة ممثلة تمثيلا طائفياً وعشائرياً ليسكن الاضطراب الذى عم البلاد ويهدأ من حدة الثورة المشتعلة (١)

وبينما كان العراقيون والإنكليز يستعرضون أسماء من يولونه السلطة فى العراق حدثت معركة ميسلون وسقطت المملكة العربية فى الشام ، فكان إخراج فيصل سبباً فى ترجيحه

---

(١) العراق الحديث ص ٤٥ ومقدمة فى دراسة تاريخ العراق المعاصر ص ٥٣ ويلاحظ كتاب أيرلند
Iraq, A Study In Politilcal Development P. P. 70, 17, 200, 221.

على سواه ، وأيد هذا الترشيح مؤتمر القاهرة برياسة ونستن جرجل[٢] وبدأت الحكومة المؤقتة والإنكليز فى إعداد الجو لمرشح العرش ، فوصل إلى بغداد فى حزيران ١٩٢١ ورشحه المندوب السامى البريطانى فى بلاغ أصدره وشرح فيه السياسة البريطانية فى العراق ، ولم ينس البلاغ أن يقول إن العراق غير مستعد لحكم جمهورى لأنه متأخر[٣] فما كان من مجلس الوزراء إلا الطاعة والمناداة به ملكاً ، واشترط أن تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون[٤] .

توج فيصل ، وكانت النفوس قلقة من وجود جيش الاحتلال ، وأفكار الشعب مضطربة حيرى ، بعد أن فشلت الثورة ، فظن بالعهد أن سيكون جديداً وسيتمتع العراق بالاستقلال الكامل . ولكن خيبة الأمل التى سيطرت على النفوس وآثار المرارة الظاهرة فى حاضرهم المرير من معاملة سيئة إلى هدم للقرى وتشريد أبنائها وجمع الأسلحة والغرامات الباهظة وإبعاد الزعماء وسجنهم[٥] كل ذلك خيل لهم أنهم سيجدون فى قدومه سبباً للتعبير لطول فترة اليأس والقنوط التى رانت على النفوس فهى أشبه بالغريق الذى يتشبث بأعواد القش ، ولذلك نجد بعضهم استرسل فى أحلامه وكأنه عاش فى أمانيها فترة من الزمن . وقد نسى هؤلاء الشعراء قوة جيش الاحتلال البريطانى وماله من تأثير على إدارة دفة العراق ، حتى إن الزهاوى نظم ديواناً كاملاً سماه ( هتاف الإخلاص ) ولكنه سماه بعد ذلك ( القصائد المطرودة )[٦]

وكان يدفع الشعراء إلى النظم حب الفخر والمباهاة التى هى طبيعة الفنان الذى يريد أن يظهر فنه وينشره بين الناس ، فيعجب به الناس وترتفع مكانته بينهم ، وإشباعاً للذة الإبداع التى حرم منها شاعر القرن التاسع عشر فقد وجد ميداناً لإبداء ما يعانونه من وجود

---

( ٢ ) العراق الحديث ص ٤٤ – ٤٦ ومقدمة فى دراسة تاريخ العراق المعاصر ص ٦١.

Foster, H., The Making of Modern Iraq P. P. 94,227 (London 1936).

( ٣ ) ظهرت فكرة الجمهورية ولكن الإنكليز قتلوها . راجع حياة الشرق تأليف لطفى جمعة ص ٢٨٢ ومجلة الغرى ١٨ و١٩ / ٧ / ١٩٤٦ والأدب العصرى جـ١ ص ١٧٠ وفى غمرة النضال . الصفحات ٩٦ – ١٤٣ و٢٦٣ والعراق فى دورى الاحتلال والانتداب جـ١ ص ٢٠٦ وأيام فلبى فى العراق الصفحات ٣٨ و٣٩ و٤٥.

( ٤ ) يراجع منشور مجلس الوزراء فى مجلة الفلاح العدد ٢٦ و٢٧ أغسطس ١٩٢١.

( ٥ ) العراق الحديث . متى عقراوى ص ٤٣ بغداد ١٩٣٦ وكتاب هيلدن ٢٥٦ و٣١٤ و٢٣١.

( ٦ ) جريدة العراق العدد ١٦١٨ السنة السادسة.

الاحتلال وتأخير بلادهم فى مناحى حياتها السياسية والاقتصادية والعلمية[٧]

ولعل أبرز ظاهرة هى الظاهرة العربية المسلمة واختفاء النزعة الإسلامية البحتة التى كانت تغطى شعر القرن التاسع عشر. والملاحظ أن الشعراء أسبغوا الحق الإلهى للرئيس الأعلى الحاكم وأنه مقدس ولا ينافس ، وأن قوله هو الحق الإلهى . . ولهذه النزعة جذورها فى الشرق العربى فقد جاءت من أثر الحكم العثمانى ، فأعطى هذا الحق السلطانى للحاكم الجديد . . ويجد الدارس لهذه الفترة اتكالية بعض الشعراء وخيالاً واسعاً فى المطاليب ، ويفيض الشعر بنعوت وألفاظ كثيرة وضخمة[٨] . ويمكن للباحث أن يجد فى شعر هذه الفترة صورة الفوضى وعدم الاستقرار وقوة الشعب المعنوية فى سبيل حقوقه[٩] .

---

(٧) جريدة العراق ٣٢٩ / ٢ / ١٩٢١ والفلاح العدد ١٨ السنة الأولى والعدد العاشر الصادر ١٢ تموز ١٩٢١ .

(٨) لسان العرب ٧و١٦١ / ١ / ١٩٢١ وجريدة العراق ٢٣٣و٢٣٥ / ٢ / ١٩٢١ والفلاح الأعداد ٧و١٣و١٨و٢٦و٢٧ السنة الأولى ١٩٢١ ولب الألباب ، محمد صالح السهر وردى ص ١٤٠ ج١ بغداد ١٩٣٣

(٩) جريدة العراق العدد ٢٣٢٥ / ٨ / ١٩٢٧ ومجلة الفلاح العدد ١٩ سنة ١٩٢١ والعدد ٢٦ و٢٧ الصادر فى أغسطس ١٩٢١ والعدد ٢٠ / ٤ / ١٩٢١.